

ويأخذ في تفصيل أمر المزية ، وبيان الجهات التي منها تعرض ، فيتحدث عن وجوه النظم في التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والتعريف والتنكير ، والوصل والفصل ، والقصر . ويفيض في ذكر ضروب تأكيد الخبر ، ويعرض التشبيه والتمثيل والكناية والمجاز والاستعارة ، مقررا أن المزية فيها ليست في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبر ، ولكنها في طريق إثباته لها ، وتقديره إياها ، وإذا عرض للاستعارة في بيت ابن المعتز المشهور :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كاللدنانير

أكد أن الاستعارة هنا ، على لطفها وغرابتها ، إنما تم لها الحسن بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها وقد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك وموازرتة لها ، وكذلك يفصل الكلام على مدخل النظم في بلاغة الاستعارة في قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيئا » ، وقوله : « وفجرنا الأرض عيوننا » ، ويتحدث عن التشبيه في مثل : زيد كالأسد ، وكأن زيدا الأسد ، وأن في المثال الثاني زيادة في معنى التشبيه ليست في الأول ، وهذه الزيادة لم تكن إلا بما توخى في نظم اللفظ وترتيبه ، حيث قدم الكاف إلى صدر الكلام ، وركبت مع « أن » .. كما يتحدث عن ضروب المجاز العقلي أو المجاز في الإسناد وعن المجاز بالحذف وعن ضروب الكناية في النسبة ، ومدخل النظم في بلاغتها .

بل إنه ليقرر أن الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم ، وعنهما يحدث ، وبها يكون ، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد ، فإذا قلنا في لفظ « اشتعل » من قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيئا » إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة لم توجد تلك الفصاحة لها وحدها ، ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام ، ومقرونا إليهما الشيب منكرنا منصوبا ، فليست الفصاحة صفة للفظ « اشتعل » وحده .

ويقرر عبد القاهر في « دلائل الإعجاز » أن المزية للكلام إنما هي في نظمه باعتبار ملاءمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التي تليها ، وليس الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه ، فالفصاحة والبلاغة عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها ، وزيادات تحدث في أصول المعاني ، كالذى أريتك فيما بين « زيد كالأسد »